**جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي**

**كلية العلوم الاجتماعية و الانسانية**

**قسم العلوم الانسانية**

**المستوى: السنة الأولى جذع مشترك علوم إنسانية**

**السداسي : الأول**

**مقياس: ابستيمولوجيا العلوم الإنسانية**

**المحاضرة الأولى : مفهوم إبستيمولوجيا العلوم الإنسانية:**

**مفهومها**

إن ابستيمولوجيا العلوم الإنسانية كمفهوم مركب من مصطلحين هما الإبستيمولوجيا والعلوم الإنسانية، وكنا قد تناولنا في المحاضرات السابقة تعاريف مختلفة للمفهومين، وقلنا أنه لا يمكن أن نقدم تعريفا واحدا للعلوم الإنسانية لعدة اعتبارات متعلقة بموضوعها وهو "الإنسان" كونه متعدد الأبعاد، إضافة إلى تعدد فروع العلوم الإنسانية، واختلاف وجهات نظر الباحثين فيها...الخ، كل هذا يقف عائقا أمام تقديم تعريف جامع مانع لمفهوم العلوم الإنسانية، لذلك سنقدم تعريفا متعارفا عليه، لتكون العلوم الإنسانية من هذا المنطلق "مجموعة من العلوم التي تتخذ الإنسان كموضوع للدراسة بهدف الكشف عن أبعاده المختلفة (نفسية، اجتماعية، اقتصادية...الخ")، وهي حديثة العهد مقارنة مع علوم الطبيعة. أما الإبستيمولوجيا حسب تعريف لالاند "فهي الدراسة النقدية لمبادئ العلوم وفروضها ونتائجها بغية تحديد قيمتها الموضوعية".

إذن إذا جمعنا المفهومين "الإبستيمولوجيا والعلوم الإنسانية" نجد أن المفهوم الكلي لهما يعني أن "العلوم الإنسانية أصبحت موضوعا للدراسة الإبستيمولوجية، إذ تقبل تلك العلوم أن تكون مجال لتحليل وانتقاد إبستيمولوجي"، فإبستيمولوجيا العلوم الإنسانية هي الدراسة النقدية لمختلف فروع وموضوعات العلوم الإنسانية، وتهدف من خلال هذه الدراسة إلى تحليل طبيعة المعرفة الإنسانية ووسائل إنتاجها، كما تعالج بالنقد مختلف الإشكاليات التي تواجهها، بغية تصحيح مسار المعرفة الإنسانية أو تجاوزها.

. .**2 أهم المسائل الإبستيمولوجية في العلوم الإنسانية:**

لا أحد ينكر أن هناك اختلاف في البحث العلمي بين العلوم التجريبية و العلوم الإنسانية والاجتماعية، فالعلوم الإنسانية، مثل علم النفس وعلم الاجتماع، انفصلت منذ بداية القرن التاسع عشر عن الفلسفة، وحاولت دراسة الظواهر الإنسانية بمناهج العلوم التجريبية التي تدرس الظواهر الطبيعية ، ولهذا ظهرت محاولات إلى علمنة الظواهر الإنسانية وذلك بتطبيق المنهج العلمي فيها، إلا أن الأمر لم يكن بمثل تلك البساطة، فقد تم الاصطدام بخصائص الظواهر الإنسانية، ولم تكن النتائج فيه بنفس ما كانت عليه في العلوم المادية، وعلى هذا يطرح السؤال: ما هي العوائق الإبستيمولوجية والمنهجية التي تواجه علمنة الظواهر الإنسانية؟ هل يمكن تقديم معرفة علمية دقيقة حول الإنسان بالإعتماد على المنهج التجريبي؟ ما هي مشكلة العلوم الإنسانية أو ما هي الصعوبات والعراقيل التي تعترض الباحث العلمي؟ وما مدى تأثيرها على الموضوعية العلمية؟ وهل يمكن الخروج من مشكلة العلوم الإنسانية عن طريق الدراسة الإبستمولوجية؟.

أول ما يمكن تمييزه في الظواهر الإنسانية هي طبيعة الموضوع الذي تعالجه وخصائصه، وطبيعة الموضوع هنا تقودنا إلى الجانب المعنوي ومختلف النظم الاجتماعية للحياة الإنسانية، وهي ظواهر لها خاصيتها، فما هي ياترى؟.

**خصائص العلوم الانسانية:**

* **الوعي : Conscience** ليس الوعي مفهوما بسيطا، لأنه مصطلح فلسفي بامتياز، حيث يمكن أن نجد تعريفات متنوعة عن الوعي. يمكن تعريف الوعي اختصارا بأنه عبارة عن خاصية إنسانية قوامها الإحساس والدراية بالوجود الداخلي والخارجي، حيث يعي الإنسان ذاته ومحيطه. والوعي هنا يكون تعبيرا عن تفعيل القدرات الإدراكية والإرادية والعقلية للإنسان، ونقيضه الغياب عن الوعي، مثلما نجده في حالة النوم.
* **الإدراك: perception** وهو أيضا مفهوم فلسفي وقد اختلف الفلاسفة في مصدره بين الحس والعقل، فقالوا بالإدراك الحسي والإدراك العقلي. وعموما يمكن تعريفه على أنه عملية معقدة تتضمن العديد من العمليات العقلية التي تحدث في الدماغ بما يساهم في تحصيل المعلومات، وفهمها. والإدراك هو ملكة تصل الإنسان بعالمه الخارجي وبذاته، بحيث أنه من خلال إدراكه يعي وجوده ووجود ما حوله. أما علميا فإن الإدراك يعرف على أنه معالجة الدماغ للمعلومات التي تأتي من الحواس، بحيث يقوم النظام العصبي المركزي المعقد على تحديد وتنظيم وتفسير المعلومات لفهم العالم المحيط بنا.
* **التغير:** إن الظاهرة الإنسانية هي ظاهرة تاريخية في جوهرها خاضعة لمحددات تغير الزمان والمكان بدرجة كبيرة، تجعل من الصعب موضعتها وتطبيق المنهج التجريبي فيها وفق النموذج الشرط الإنساني ؛ فلإنسان خصائص مميزة فريدة فهو كائن قابل للنمو عبر مراحل عمرية مختلفة الخصائص، وهو عضو في جماعات ومجتمعات قابلة للتأثر والتأثير المتبادل كما أنه لا يتأثر فقط بالبيئة الخارجية من نظم دينية واجتماعية واقتصادية وسياسية وثقافية بل يتأثر باستعدادات وقوى بيولوجية ووراثية في غالبها تكون غير قابلة للضبط أو الملاحظة المباشرة.

نستنتج مما سبق أن طبيعة الإنسان والظواهر الإنسانية ذاتها هي ما يمثل عائقا أما علمنة الظواهر الإنسانية، بحيث يصبح من الصعب والعسير تطبيق خطوات المنهج التجريبي عليه، ولكن مع ذلك فقد دار هنالك جدل حامي الوطيس بين المدافعين عن تطبيق المنهج التجريبي في الظواهر الإنسانية بطريقة مباشرة، وبين القائلين بضرورة الأخذ بعين الإعتبار بخصوصيات الظواهر الإنسانية.

في هذا السياق يمكن أن نميز بين تيارين:

ـــــــــــ القائلين بتطبيق المنهج التجريبي كمنهج للعلوم الإنسانية مباشرة:

**مع أوغست كونت Comte Auguste** وفلسفته الوضعية التي ترى بأن العلم هو منهج المعرفة الصحيحة ، فقد آمن كونت ومن سار على نهجه من الوضعيون أن تطبيق المنهج العلمي على الظواهر الإنسانية ممكن، لا بل أن تطبيق المنهج العلمي على الظواهر االنسانية هو فقط من سيسمح باكتشاف القوانين الصحيحة التي تفسر الظواهر الإنسانية والاجتماعية. وفي هذا السياق يرى الوضعيون أن الإنسان جزء من كل، أي جزء من المجتمع والنظم التي تؤكد سير حياته، وفهمه يتطلب فهم الأولى. وعلى هذا المنوال سار " ايميل دوركايم" Durkheim Emile في محاولته لتأسيس علم اجتماع كفرع أكاديمي قائم بذاته، حيث آمن دوركايم بمشروعية وأهمية تطبيق المنهج التجريبي في دراسة الظواهر الإنسانية، وبقدرته على قيادتنا إلى معرفة حقائق الإنسان والمجتمع لهذا فقد جعل من مهمة علم الاجتماع هو استكشاف بنية "الحقائق الاجتماعية". معتبرا أن الحقائق الاجتماعية ظواهر يمكن موضعتها (موضوعية) إذ يمكن لعلم الاجتماع دراستها بطريقة مشابهة لكيفية دراسة العلوم الأخرى كعلم الفيزياء والعالم المادي.

أما **"سيجموند فرويد** **Freud Sigmund** أهم منظري علم النفس الحديث، فقد قسم النفس إلى جزئين جزء واعي تحكمه الإرادة والوعي، وجزء غير واعي، تحكمه الغرائز والمكبوتات، وأعتبر فرويد أن الجزء الغير الواعي يغلب إلى الجزء الواعي عند أغلب البشر، وهذا الجزء الغير الواعي ذاته هو ما أعتقد فرويد أن يمكن موضعته وإخضاعه للتجارب السريرية وبالتالي إلى المنهج العلمي، كما أعتقد فرويد أنه من خلال استخدام العقاقير وابتداع طرق علمية في التنويم المغناطيسي، فإنه يمكن فتح بوابات المكبوتات لدى الإنسان، وبالتالي إمكانية تشخيص ومعرفة أسباب مختلف الأعطاب والأمراض النفسية التي تصيبه .

في القرن العشرين ظهر المنهج البنيوي structuralisme كمنهج علمي مختص بالظواهر الإنسانية والاجتماعية، ومع تطورت الدراسات الأنثروبولوجية وخصوصا مع كلود ليفي ستروس Strauss Levi Claude. وتتمثل خطواته في جمع الحقائق المتفرقة وتحليلها وترتيبها، ثم في خطوة موالية تصنيف المعلومات والبحث عن الروابط والعلاقات الداخلية التي تربط مكونات الموضوع المدروس ( البنية ) وفي الخطوة الثالثة تركيب الأجزاء في كيان واحد، أي عناصر الموضوع في نسق الواحد (البنية) بالتالي فللمنهج البنيوي هنا ثلاثة خطوات الأولى هي الملاحظة والوصف الثانية هي تحديد العلاقات والروابط والثالثة هي التركيب في نسق كلي )بنيوي).

بالنسبة للبنيوية فإن الظواهر الاجتماعية عبارة عن أنساق وبنى، لفهم كل منها يجب تحديد العلاقات التي تربط أجزاءها ببعضها لمحاولة الوصول إلى تحديد القوانين العامة التي تتحكم في الظاهرة المدروسة. وهذا ما يعني تطبيق الاستقراء، أي الانتقال من الجزء إلى الكل، وهو عينه نهج المنهج العلمي.

**القائلين بخصوصية مناهج العلوم الإنسانية:**

إن تطبيق المنهج التجريبي على الظواهر الإنسانية لم يقد إلى نتائج ونظريات متماسكة مثلما قاد إليه تطبيقه في العلوم المادية، فإذا كانت العلوم الطبيعية تسعى إلى صياغة قوانين عامة، كلية ومطلقة، فإن غاية ما تسعى إليه العلوم الإنسانية هي بناء قوانين وقواعد تقريبية واحتمالية تفتقد إلى الكلية واليقين المطلق. لذلك، فلا يمكن القول إن العلوم الإنسانية يمكن أن تصل إلى قوانين مماثلة لتلك القوانين التي تصل إليها العلوم المادية، فحين لا يكون الموضوع قابلا للدراسة العلمية، فلا فائدة عندئذ من اصطناع أدق المناهج. وعلى هذا تظهر إشكالية مقلقة في تطبيق المنهج التجريبي على الظواهر الإنسانية، ألا وهي إشكالية ملائمة الموضوع، وفي هذا السياق ظهرت عدة مساهمات فلسفية في السياق تبرز خصوصية الظواهر الإنسانية وتقترح تطبيق مناهج بديلة أو ملائمة لطبيعة الظواهر الإنسانية، فكان من أبرزها :

**دليتاي**: الفيلسوف والمفكر **الألماني ولهلم دلتاي Dilthey Wilhelm** ، والذي ينتمي إلى تيار فلسفة الحياة، له إسهام كبير ومهم في تطور مناهج العلوم الاجتماعية من حيث أن الفرق بين الموضوعين ،أي بين مواضيع العلم المتمثلة في الظواهر الطبيعية والمادية وبين مواضيع العلوم الإنسانية المتمثلة في الظواهر الإنسانية يتبعه فرق في أنماط المعرفة، فالعلوم الطبيعية والمادية يتم التعامل معها من خلال التفسير أما العلوم الإنسانية فإنها تحتاج الفهم. إذا فالعلوم الطبيعية والمادية تحتاج الشرح والتفسير، في حين في العلوم الإنسانية تحتاج الفهم، ومنه اختلاف المناهج بينهما ولابد من مراعاة هاته الفروق.

إن هذا التعارض بين "الفهم" و"التفسير"، هو نفسه التعارض بين منهج العلوم الطبيعية ومنهج العلوم الإنسانية، لأنه إذا كان المنهج الأول يستند إلى التفسير، فإن المنهج الثاني يقوم على الفهم: " إن الكلمة الأساسية في التأويل أو الدراسات الإنسانية هي الفهم والفهم كلمة متميزة من التعليل الذي يقوم عليه العلم الدقيق الفهم معوله على الربط بين الجانب الداخلي والجانب الخارجي العلم يعلل، والدراسات الإنسانية تتفهم الحياة أو التجربة".

إن "الفهم" يتجاوز حدود الواحدية المادية ويرفض تسوية الظاهرة الإنسانية بالظاهرة الطبيعية / المادية، وينظر إلى الإنسان على أنه ظاهرة متجاوزة وفردية وذات خصوصيات، وهو ما يعني أنه لا يمكن تفسيرها أو تعليلها أو دراستها من الخارج، أو صياغة قوانين عامة حولها كما نفعل مع الظواهر الطبيعية، وإنما ينبغي النفاذ إلى أعماقها ودراستها من الداخل قصد تأويلها وفهمها". ومن هنا ولدت المناهج التأويلية، أو **"الهيرمونيطيقا" Hermeneutics** التي تحاول إيجاد مناهج تلائم روح الظواهر الإنسانية، وفي نفس الوقت تسمح بوجودها كعلوم قائمة بذاتها.

يقول الفيلسوف الأماني مارتن **هايدغر Heidegger Martin :** **"إن العلوم لا تفكر"،** وهي عبارة القصد بها أن العلوم الدقيقة وان كانت تنتج نظريات وعلوم ومعارف وتكنولوجيات وآليات ، فان مهمتها تنحصر إلى إنتاج التقانة والتطوير الداخلي للعلوم كل في مجالها، و بالتالي فهي لا تفكر ولا تتأمل في إشكاليات الوجود ومآلات تلك النظريات ومنتجاتها، فلا تربطها بالسياقات الحياتية ولا تتساءل عن مآلات وغاياتها وكيفيات توظيفها. وهذا الأمر تعنى به أنماط التفكير الفلسفي الذي يتطلب فهما وتأملا لمختلف الظواهر الإنسانية ، وبالتالي فهنالك خصوصية موجودة تفرق بين دراسة الظواهر المادية والطبيعية وبين دراسة الظواهر الإنسانية، وهو البعد الوجودي والخصوصية الإنسانية للظواهر الإنسانية عامة، ذلك البعد الذي يستعصي حصره في المناهج التجريبية النمطية.